



جامعة النجاح الوطنية – فلسطين

كلية الفنون الجميلة – قسم الفنون التطبيقية

برنامج: تصميم الجرافيك

كلية الفنون الجميلة
جامعة النجاح الوطنية



الإبداع وأزمة العقل العربي

إعداد / نجاه جمعة

إشراف / أ. محمد سلامة

يقدم هذا البحث لاستكمال مساق بحث مشروع تخرج

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين الذي وفقني في إتمام هذا البحث المتواضع وأعانني فيه.

أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذ الفاضل:

أ. محمد سلامة

الذي أشرف على بحثي هذا ولم يتوان لحظة عن نصحي وإرشادي

لإظهار هذا البحث على أحسن صورة.

كما وأتقدم بشكري وعظيم امتناني إلى الهيئة التدريسية في كلية الفنون الجميلة

عامة وأساتذتي الأفاضل في قسم التصميم الجرافيكي خاصة.

الطالبة:

نجاه محمود ناجي جمعة

إهداء

إلى رمز العطاء والوفاء... إلى من جعلت الجنة تحت أقدامها... إلى ينبوع العطف والحنان

والحب... إلى أشرف مثال للتضحية...

أمي الغالية...

إلى حبيبي... إلى من رفعت رأسي عالياً افتخارا به...

إلى من علمني الصبر والاجتهاد... إلى من وهب نفسه لسعادتنا...

والدي الحبيب...

إلى من بروعتهم كانت أجمل ذكرياتي... إلى الأيد الحانية لي عوناً في حياتي...

إلى من هم بجانبني في جميع لحظات مشواري...

أخي وأخواتي وأصدقائي.

الفهرس:

٢	شكر و تقدير
٣	إهداء
٤	الفهرس:
٦	الفصل الأول
٦	الإطار العام للبحث
٦	مقدمه:
٧	مشكلة البحث:
٧	الفرضيات:
٨	أهمية البحث:
٩	أهداف البحث
١٠	الفصل الثاني
١٠	الإطار النظري
١٠	مقدمة:
١٠	أولاً: التفكير الإبداعي
١٠	مفهوم الإبداع:
١٤	مظاهر الإبداع:
١٤	مستويات الإبداع
١٥	ثانياً: الإبداع لدى الأطفال
١٦	السمات الفارقة بين الأطفال المبدعين والعاديين
١٨	ثالثاً: العقل الفاعل
٢١	الإبداع في الفكر من نتائج العقل الفاعل
٢٢	رابعاً: تدريب وتنمية الإبداع

٢٢	الأساليب التي يمكن أن تتبع في تدريب وتنمية الإبداع:-
٢٤	خامساً: ارتباط الإبداع بغريزة المحافظة على البقاء
٢٧	سادساً: أثر البيئة على الإبداع
٢٩	أثر المدرسة في تكوين الإبداع
٣٤	الفصل الثالث
٣٤	إبداع العقل العربي
٣٤	مقدمة
٣٥	أولاً: المظاهر التي أدت إلى انحطاط وتراجع الأمة العربية
٣٧	تحرير العقل لتحرير الأرض
٣٧	ثانياً: تأثير البيئة العربية على المجتمع العربي
٤٥	الفصل الرابع
٤٥	ملخص البحث والتوصيات المقترحة
٤٥	نتائج البحث:
٤٦	التوصيات:
٤٧	المصادر و المراجع:

الفصل الأول

الإطار العام للبحث

يهدف هذا الفصل إلى عرض مشكلة البحث، وتحديد لها في شكل تساؤلات، وتوضيح الفروض التي يسعى البحث إلى التحقق من صحتها، وكذا توضيح أهمية البحث، ومحدداته، والمنهج الذي سوف يعتمد عليه.

مقدمة:

في ظل التقدم الحضاري المستمر، تتسابق الدول والمجتمعات في جميع الميادين، ووسيلتها في ذلك استثمار كل طاقاتها وثرواتها وعلى رأسها الثروة البشرية التي تكمن في الإبداع البشري فهي المحرك لكل القوى الأخرى، وبدونها تصبح الثروات عديمة القيمة، لذلك يكون الإبداع البشري أعظم الموارد التي يجب تميمتها والاهتمام بها.

مشكلة البحث:

فلسطين والعالم العربي أكثر المجتمعات حاجة الى الإبداع فهو بوابته نحو العالم، وهو الوحيد القادر على بناء مجتمع قوي قادر على مواجهة الاحتلال والظروف الصعبة التي يعيشها الشعب الفلسطيني والظروف التي يعيشها العالم العربي، فما هو مدى ارتباط الإبداع بغريزة المحافظة على البقاء؟ وهل الظروف الصعبة التي تعيشها فلسطين ولدت ابداع ام عاقت العملية الإبداعية، وما هي البيئة المناسبة للإبداع؟ وما هي معوقات الإبداع؟

الفرضيات:

١- مرحلة الطفولة عند الإنسان هي الأكثر إبداعاً.

٢- مدى ارتباط الإبداع بغريزة المحافظة على البقاء.

٣- الإبداع يحتاج لبيئة مناسبة لكي يتولد.

٤- للنظام التعليمي أثر في تكوين الإبداع.

٥- البيئة العربية أعاققت العملية الإبداعية.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في انه يحاول التعرف على الإبداع وخصائصه ومميزاته وتعريف المجتمع

بتلك الأهمية، وتوفير البيئة المناسبة والنظام التعليمي المناسب للإبداع، كما تتجلى أهميته فيما

سيقدمه من توصيات بشأن كيفية استخدام النظام أو الأسلوب التعليمي الصحيح لتنمية الإبداع

والابتعاد عن الاتباع.

ويمكن تلخيص أهمية هذا البحث بما يلي:

١. توجيه المجتمع نحو الإبداع والتفكير الإبداعي.
٢. تقديم توصيات من أجل تحسين العملية التعليمية من أجل إنشاء جيل مبدع.
٣. تعزيز دور الإبداع في المحافظة على البقاء والتخلص من الاحتلال.
٤. محاولة التخلص من الاتباع والتوجيه نحو الإبداع.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى:

١. التعرف على الإبداع وخصائصه وأنواعه.
٢. معرفة الأساليب التي تنمي العملية الإبداعية.
٣. الاهتمام بالأطفال المبدعين وتوجيه التعليم نحو العملية الإبداعية.
٤. معرفة تأثير الإبداع في المحافظة على البقاء وبناء المجتمعات.
٥. التخلص من الاتباع الموجود في المجتمع.

الفصل الثاني

الإطار النظري

مقدمة:

يتناول هذا الفصل عرض الإطار النظري الذي يستند إليه موضوع البحث، للتوصل فيما بعد للأسس والحلول للمشاكل والفرضيات، من خلال عدة محاور.

أولاً: التفكير الإبداعي

مفهوم الإبداع:

اختلف العلماء كثيراً في وضع مصطلح لعملية الإبداع، وقد تبين في معظم هذه الحالات أن عملية الإبداع هي عملية تنشأ من نشاط ذاتي للفرد.

والإبداع هو لُغَةٌ: ب د ع: أبدع الشيء "اخترعه لا على مثالٍ سابق .ولله تعالى "بديعُ السموات

والأرض" .^١

والإبداع في " التعريفات : "هو إيجادُ الشيء من العدم، فهو أخص من الخلق (المعجم الوسيط ،

(٢٠٠٣)

، أمَّا الخلق فإيجادُ شيءٍ من شيء .قال تعالى (خلقَ الإنسانَ من نُطفة) والإبداع أعمُّ من الخلق،^٢

ولذا قال تعالى (بديعُ السموات والأرض)، وقال (خلقَ الإنسان)، ولم يقل بديعُ الإنسان، ويقصد

بذلك أنَّ الإبداع في هذه الحالة هو إخراجٌ من العدم إلى الوجود.

وقد تعددت التعريفات التي تناولت التفكير الإبداعي (Creative Thinking) فيرى محمود

منسي أنه " قدرة الفرد على التفكير الحر الذي يمكنه من اكتشاف المشكلات والمواقف الغامضة

ومن إعادة صياغة عناصر الخبرة في أنماط جديدة عن طريق تقديم أكبر عدد ممكن من البدائل

لإعادة صياغة هذه الخبرة بأساليب متنوعة وملائمة للموقف الذي يواجهه الفرد بحيث تتميز هذه

^١ (البقرة، ١١٧)

^٢ (النحل ، ٤)

الأنماط الجديدة الناتجة بالحادثة بالنسبة للفرد نفسه وللمجتمع الذي يعيش فيه، وهذه القدرة يمكن

التدريب عليها وتنميتها “.

ويقول ماكنون "ان الإبداع عملية لها أوجه كثيرة، أكثر من كونها ظاهرة مفهومة نظريا ومحددة

التعريف ". (كمال، ٢٠٠٧)

وعلى ذلك فإن الإبداع قدرة عقلية موجودة عند كل فرد وبنسبة معينة تختلف من واحد لآخر،

وإبداع الصغير يكون جديداً بالنسبة إليه حتى ولو كان معروفاً للكبار، حيث يرى العلماء أن

الإبداع الحقيقي للإنسان الناضج هو نتاج لعملية طويلة يمثل إبداع الصغار الحلقة الأولى منها.

كانت هذه تعريفات تقليدية؛ ومع أهميتها ومشروعية الإحاطة بها، فإنها قد تُقَصِّرُ عن

الاستجابة لمفهوم الإبداع الذي يتميزُّ هو ذاته بمفهومٍ حركي ديناميكي متطور.

والتعريفُ المقترحُ التالي هو من هذا النوع، أي إنَّه يكتفي بإعطاء فكرة عن الإبداع. ومع ذلك فهو يحاول أن يستوعب أهمَّ عناصره، وفي أيِّ حال، فإنَّه ليس نهائياً، بل سيظلُّ مفتوحاً للتعديل والتحوير والإضافة، أي إنَّه تعريفٌ حركيٌّ مرِنٌ يستجيبُ لمختلف المُستجَدَّات.

"يُمكنُ القول، على الصعيد البشريِّ الفرديِّ والجماعيِّ، إنَّ الإبداع هو عمليَّةُ إنتاجِ نوعٍ جديدٍ من الوجود المادِّيِّ أو المعنويِّ من وجودٍ سابق، بواسطة إعادة تركيب عناصره القائمة، أو إضافة عُنصر أو عناصرٍ أخرى جديدة، أو حَذف بعضها، أو إعادة تشكيل العلاقات القائمة بينها. وقد يجوز التفريق بين الإبداع المادِّيِّ والمعنويِّ. فالمادِّيِّ، مثلاً، إنتاجُ أداةٍ أو آلةٍ جديدةٍ أو تحقيقُ إضافةٍ أو تطويرٍ فيها لتحقيق واحد أو أكثر من الأغراض التالية (نوعية أعلى، أداء أفضل، اداء اضافي جديد، كلفة أقل...)

أمَّا الإبداع المعنويُّ، الذي تدخلُ فيه الفنونُ والرياضيَّات والعلوم الصِّرف والعلوم الإنسانيَّة عامَّةً (مثل الآداب وعلم الاجتماع)، فيعتمدُ فيه الإبداع على الفكر وآثاره المباشرة أو غير المباشرة؛ علماً بأنَّ الفكر هو الأداة الأولى للإبداع سواءً كان مادِّيًّا أو معنويًّا". (الأعرجي، ٢٠٠٤)

مظاهر الإبداع:

١. الاختراع: تركيب جديد لأفكار معروفة ودمج هذه الأفكار للتوصل الى شيء جديد (مثل

اختراع أديسون للمصباح الكهربائي).

٢. الاكتشاف: اكتشاف المعلومات الخاصة بشيء موجود بالفعل وهذه المعلومات تعطي

حقائق مفيدة وجديدة.

٣. الإبداع الأدبي والفني: يعتبر النشاط الادبي والفني نوع من أنواع الإبداع إذا كان جديدا

بالفعل وذلك لأن التمهيد لهذا الإبداع يأخذ بضع سنين، ومثال ذلك التكعيبية في الفن.

"وفي رأي البعض أن المجتمع يجب أن يرضى عن الشيء الجديد كشرط أساسي لنجاح

المبدع في إنتاجه" (كمال، ٢٠٠٧).

مستويات الإبداع

يظهر الإبداع في العديد من المستويات ومنها (الرشيدي، ٢٠٠٣)

الإبداع على المستوى الفردي: ان الإبداع نشاط نفسي راق وينبثق عن كائن بشري معقد التكوين،

وهو عملية نمائية تطورية تظهر علاماتها ومنتبئاتها في مراحل مبكرة من العمر.

الإبداع على مستوى الجماعات :بحيث تكون هناك جماعات محددة في العمل تتعاون فيما بينها لتطبيق الأفكار التي يحملونها وتغيير الشيء نحو الأفضل، لا يكفي ان يكون الفرد مبدعا بل لا بد ان يتوافق ذلك مناخ اجتماعي موات ومشجع ومحفز للإبداع.

الإبداع على مستوى المنظمات :فهناك منظمات متميزة في مستوى أداءها وعملها وغالبا ما يكون عمل هذه المنظمات نموذجي ومثالي للمنظمات الأخرى وحتى تصل المنظمات إلى الإبداع لابد من وجود إبداع فردي وجماعي.

ثانياً: الإبداع لدى الأطفال

كما وضحت سابقاً أن الإبداع قدرة عقلية موجودة عند كل فرد وبنسبة معينة تختلف من واحد لآخر، وإبداع الصغير يكون جديداً بالنسبة إليه حتى ولو كان معروفاً للكبار، حيث يرى العلماء أن الإبداع الحقيقي للإنسان الناضج هو نتاج لعملية طويلة يمثل إبداع الصغار الحلقة الأولى منها.

فكيف يمكن الكشف عن الأطفال المبدعين؟ وما هي صفاتهم؟ وكيف يمكن تنمية الإبداع لدى الأطفال؟

السمات الفارقة بين الأطفال المبدعين والعاديين

يكون للأطفال المبدعين سمات فارقة عن الأطفال العاديين يمكن ملاحظتها، وهذا ما يتبدى في

وصف سمات الطفل المبدع وهي سمات متنوعة منها ما يتصل بالنواحي الجسمية الحيوية وما

يتصل بالنواحي العقلية المعرفية والنواحي المزاجية الانفعالية ومنها أيضا ما يتصل بالنواحي

الاجتماعية، وكشفت الدراسات العلمية الوصفية عن كثير منها:

١. السمات الجسمية والحيوية: العلاقة بين السمات الجسمية وملكة الإبداع ليست ذات

تأثير كبير. إذ أن المبدع قد يكون طويلا أو قصيرا، وقد يكون جميل الوجه أو دميم

الوجه وهكذا، وقد توصل ترمان من خلال دراسته الى نتيجة مفادها: أن المبدعين

يتمتعون بالصحة أكثر من غير المبدعين، كما أن أعمارهم تطول أكثر من غير

المبدعين.

٢. السمات العقلية المعرفية: هذه السمات ترتبط بعملية الإبداع وهي تشكل كل ما يتصل

بالتفكير والذكاء والتخيل والاستنتاج والادراك والانتباه الى اخر هذه القائمة. ومن الممكن

تقسيم ما يتسم به المبدعون من الناحية العقلية المعرفية الى ما يلي:

• **الذكاء:** ثبت أن هناك صلة بين الذكاء والإبداع، ذلك بعد دراسات عديدة، الا

أنه يجدر الإشارة في شأن العلاقة الوظيفية بين الذكاء والإبداع أن الإبداع يأخذ

بالتلاشي في نسبة الذكاء العالية جدا فقد وجد جروينا أنه إذا تجاوزت نسبة

الذكاء ١٢٠ فإن الزيادة لا تزيد من احتمالات الانجاز الإبداعي.

- إدراك التناقضات والفجوات: يكون المبدع أقدر من غيره على إدراك التناقضات

والفجوات، ثم بعد ذلك يعمل على سد هذه الفجوات.

- تفسيرات خيالية: قد يميل الطفل الى اعطاء تفسيرات خيالية ازاء المواقف التي

قد يتعرض لها، خاصة اذا كانت هذه المواقف تتسم بعض الشيء بالغموض.

- التفكير التحليلي: يتميز لمبدعون أكثر من غيرهم بالقدرة على تحليل الأمور

وردها الى عناصرها الأصلية، ثم اعادة تركيبها مرة أخرى.

- مرونة التفكير: يمكن لبعض الأطفال البحث عن حل جديد لمشكلة ما، وذلك

بعد فشل الحل السابق أو عدم كفايته.

- النحو اللغوي: الطفل المبدع يستخدم اللغة بمهارة عالية أكثر من الأطفال

ويكون قادرا على التعبير بحرية.

- طلاقة الفكر: يلاحظ في بعض الأحيان أن الطفل المبدع قد تكون أفكاره غزيرة

ومتدفقة.

٣. السمات المزاجية الانفعالية: ان اهم السمات المزاجية الانفعالية التي يتسم بها الأطفال

المبدعين هي الدافعية والرغبة في اقتحام المجهول والاتجاه نحو العمل الجاد بالإضافة الى تقدير الذات والاعتداد بالنفي كما انهم لا يحبون القيود ويتمردون على القواعد التي يفرضها الأهل وعدم الرضا عن العادات والتقاليد الصارمة.

٤. السمات الاجتماعية: تشمل تفاعل الطفل المبدع مع وسطه الاجتماعي وهب تشمل ايضا

استيعاب الطفل المبدع لما حوله من حضارة وثقافة. ويتميز الطفل المبدع بحبه لمصاحبة الكبار (حيث يعتبر نفسه واحداً منهم) ويقول أ.د. يوسف القريوس " أن الأطفال المبدعين يتميزون بقدرتهم على حل مشكلات التفاعل الاجتماعي وإدارة النقاش والتفاوض فيما يتصف بالقضايا الحياتية ".

ثالثاً: العقل الفاعل

وكما ذكر سابقاً أن ابداع الصغار هو الحلقة الأولى للإبداع، ففي كتاب العقل والمعايير لأندريه لالاند قسم به العقل الى العقل (المُكوّن)بالكسر (أو الفاعل) والعقل (المُكوّن)، حيث عرّف الأول بأنّه:"النشاط الذهني" الذي يقوم به الفكرُ حين البحث والدراسة، والذي يصوغ المفاهيم ويُقرّر المبادئ وبعبارة أخرى إنّه " :الملَكة التي يستطيع بها كلُّ إنسانٍ أن يستخرج من إدراك

العلاقات بين الأشياء مبادئ كُليّة وضروريّة، وهي واحدة عند جميع الناس "أما الثاني، أي

العقل المُكوّن، فهو": مجموع المبادئ والقواعد التي نعتمدها في استدلالنا، وهي على الرغم من

كونها تميلُ إلى الوحدة، فإنّها تختلف من عصرٍ لآخر، كما قد تختلف من فردٍ لآخر. (لالاند،

١٩٧٩) وهما كما وضحهما علاء الدين الأعرجي فيما بعد بالعقل الفاعل والعقل المنفعل

فالعقل المنفعل عند الأعرجي هو تلك المَلَكَة التي يكتسبها الفرد من محيطه، ويستخدمها في

التفكير والتعامل مع الآخرين، واتّخاذ قراراته التي يُميّز بها بين الصالح والطالح،

والصحيح والخطأ، والخير والشرّ، في إطار مجتمع مُعيّن، وفي حدود زمنٍ مُعيّن؛ أو هو

مجموعة المبادئ والمعايير التي يفرضها "العقلُ

المُجمّعيّ"، والتي يتّخذها الفردُ مقياسًا لمعظم أحكامه وقراراته.

أما تعبيرُ "العقل الفاعل"، فإنه يدلُّ على تلك المَلَكَة الذهنيّة الطبيعيّة التي تولّد مع الإنسان، ثمّ

تضمُرُ تدريجيًّا، بسبب تأثير العقل المُنفعل وسيطرته على العقل الفاعل، وقد تنمو لدى بعض

الأشخاص، فتؤدّي إلى تساؤلها عن قيمة مبادئ المجتمع وأعرافه ومُعتقداته ومدى

مِصداقيّتها وصلاحيّتها للعقل الفاعل وللمجتمع؛ أو قد تُحاور، "العقلُ المُنفعل" و/أو تُجادله،

و/أو تحلّله وتحاسبه على ما يحمّله من قِيَمٍ ومفاهيم ليست من مُبتكراته، بل ممّا فرضه عليه

العقلُ المُجمّعيّ.

وقد وضح (الأعرجي، ٢٠٠٤) ذلك "يولدُ كلُّ فردٍ بعقلٍ واحد هو" العقل الفاعل"، الذي يكون في

مُنطلقاته الأولى عقلاً "بدائيًا" أقرب إلى الغريزة منه إلى "العقل الناضج"، ولكنّه قد يزدادُ نموًا

خلال سنوات العُمر التالية.

ولدى اختلاط الفرد بأعضاء المجتمع الآخرين، بأبويه أولاً، ثمّ رفاقه ومُدَرّسيه فيما بعد، يبدأ

الصراعُ بين العقل الفاعل الطبيعيّ والعقل المُجتمعيّ المُكتسب، الذي يُغذي العقل المُنفعل،

وتكون الغلبةُ للعقل المُنفعل عادةً، لأنّه هو العقلُ السائد. فيبدأ الطفلُ في تعلُّم الخضوع للقواعد

التي يسلكها المجتمع، لأنّه سيُعاقبُ لو عصاها، بشكلٍ أو آخر، وإذا اتّبعها فإنّه سينال رضا

أبويه ومُعلّميهِ أو اعجابهم؛ لذلك فلا مفرّ من اتباعها في العادة"، لذلك كلما اعطي الطفل قدرا

من الحرية مع التوجيه الصحيح يحافظ على عقله الفاعل المبدع.

وفي هذا السياق، فإن المجتمعات تتفاوت في فرض القواعد واحترامها فكلما ارتفع المجتمع في

سلم التطور والديمقراطية منح الطفل قدرا أكبر من الحرية والاختيار، وكلما انخفض في ذلك

السلم كان العكس صحيحا ومع مراعاة النتائج السلبية والإيجابية لهذه الحرية وتفاوت الأفراد في

الاستفادة منها أو اساءة استعمالها، فإن نتائج الأبحاث النظرية والعلمية الحديثة رجحت أن منح

الطفل قدرا من حرية التصرف المصحوبة بحسن التوجيه والتثقيف والتعليم دون ضغط أو تلقين

يؤدي الى بناء شخصية الفرد وحفز قدراته الذاتية للخلق والإبداع.

ومما سبق يمكن توضيح بعض النتائج:

١. يولد الطفل بعقل واحد هو العقل الفاعل، ويزداد نموا خلال سنوات العمر التالية.
٢. لدى اختلاط الفرد بأعضاء المجتمع الآخرين، بأبويه أولا ثم رفاقه ومدرسيه فيما بعد، يبدأ الصراع بين العقل الفاعل الطبيعي والعقل المنفعل المجتمعي.
٣. تدريجياً يحل العقل المنفعل محل العقل الفاعل في ميدان التمييز بين الأمور.
٤. العقل الفاعل قد لا يموت نهائياً ويبقى لدى فئة من الأشخاص مركز وواضح كفئة العلماء والفلاسفة.

٥. يجب اعطاء الطفل قدر من الحرية مع التوجيه الصحيح بعيدا عن التلقين للحفاظ على عقله الفاعل المبدع.

الإبداع في الفكر من نتائج العقل الفاعل

تطرقت في هذا البحث الى مفهوم العقل الفاعل والمنفعل وذلك كون الإبداع ينتج من العقل الفاعل بعيدا عن العقل المنفعل، فالعقل الفاعل هو العامل المؤسس والمنتج والمطور لكل فكر فلسفي أو علمي ناضج.

رابعاً: تدريب وتنمية الإبداع

بعد معرفة الطفل المبدع وإمكانياته، كيف يمكن تنمية الإبداع لديه؟ سنعرف ذلك من خلال هذا القسم.

"ترتبط عملية تدريب وتنمية الإبداع بفلسفة ونظرة المجتمع الى العملية الإبداعية كلها فقد ارتبط

تفسير الإبداع بالنمط والأسلوب الفكري السائد في المجتمع" (الرشيدي، ٢٠٠٣)

الأساليب التي يمكن أن تتبع في تدريب وتنمية الإبداع: -

-الأساليب التربوية: وهي تعتمد على إحداث تغيرات في العمليات الاجتماعية والتربوية وأساليب

المعاملة الوالدية والجرعات التربوية التي تقدمها وسائل الاعلام ودور العبادة والنواحي والساحات.

وكذلك تستند هذه الأساليب في المقام الأول على النمط الذي تقدمه مؤسسات التربية والتعليم

بدءا من الحضانة وحتى الجامعة.

وفي ذلك قال الأستاذ طارق كمال (كمال، ٢٠٠٧) ان المجتمعات كلها تعطي الكثير من

الاهتمام لدور المدرسة على الوجه الأكمل، ونظرا لتعدد الحياة والتقدم الكبير في المعرفة فانه لم

يعد من الممكن أن تقوم الأسرة وحدها بتعليم الأطفال. وكلما كانت المدرسة سوية التأثير، كلما

ازداد المجتمع رقياً.

يقول أ.د. /عبد الحليم محمود "أن أساليب وطرق التدريس في تنمية الإبداع هي أمر هام جداً

حيث يرى أن خبرات التلميذ التربوية في المدرسة لها أثر كبير على تنمية قدراته الإبداعية فيما

يتصل بما يكتسبه من اتجاهات إيجابية أو سلبية نحو المواقف الجديدة للتعلم التي ستعلمه في

المستقبل. فقد تؤكد طريقة التعلم تشجيع الابتكار والتجديد وتصور التراث العلمي " (كمال،

٢٠٠٧) ومن ذلك يتضح دور المدرسة الكبير في تنمية الإبداع، عن طريق برامج تربوية تقوم

على تنمية الفكر المنتج وإثارة التفكير الإبداعي والتدريب على الخيال الخصب والحل الخلاق

والابتكاري للمشكلات.

لكن يجب الانتباه أن لا يكون دور المدرسة هو التلقين بل البحث والاستكشاف وفي ذلك قال

هشام شرابي: " ان التربية والتنشئة في العائلة والمدرسة انما يهدفان الى قولبة الفرد على النحو

الذي يريده المجتمع " (شرابي، ١٩٨٤)

- الأساليب الإرشادية العلاجية: وتقوم هذه الأساليب على فرضية مؤداها أن المبدع يمكن أن

تنتابه لحظات توقف عن العمل الإبداعي لما يعترضه من المشكلات والضغوطات أو ان يكزن

قد ألم بعض الاضطرابات أو الحالات العصبية او الذهانية، وهنا يكون الأمر بحاجة الى مجهود

إرشادي علاجي لكي يعاود المبدع انتاجه.

فتقوم هذه الأساليب في تنمية الإبداع بأنه يمكن تنمية الإبداع والتأثير فيه بإجراءات ارشادية وتوجيهية للأفراد العاديين وإجراءات علاجية للأفراد الذين احبطت لديهم هذه القدرة بحيث تستعيد كفاءتها وقدرتها على الخلق والابتكار.

وتركز هذه الأساليب على مساعدة الأفراد على التغلب على العقبات والعوائق التي تمنع من الاستخدام الفعال لقدرتهم.

خامساً: ارتباط الإبداع بغريزة المحافظة على البقاء

يُمكن القول إنَّ الإنسانَ العاديَّ يميلُ عادةً إلى الاتِّباع أكثرَ ممَّا يميلُ إلى الإبداع. نلاحظُ أنَّ الطفلَ يُحاولُ أن يُقلِّدَ أبويه أولاً، ثمَّ يُقلِّدَ زملاءه فيما بعد؟ بل إنَّ الناشئَ يقتبسُ معظمَ عاداته وقيمِهِ، إن لم يكن جميعها، من بيئته في أسرته أولاً ثمَّ من مدرسته وأصحابه ثانيًا، كما يقتبسُ الطفلُ دينه ومُعتقدَه من أسرته، فيكون مُسلمًا أو مسيحيًا أو يهوديًا أو بوذيًا تبعًا لذلك.

لكن لماذا يميلُ الإنسانُ العاديُّ إلى الاتِّباع أكثرَ ممَّا يميلُ إلى الإبداع؟ "ربَّما لأنَّ الاتِّباع يعني اليقين. وينحو الإنسان إلى اليقين أكثرَ ممَّا يميل إلى الشكِّ، لأنَّ في اليقين راحةً البال،

والاطمئنان إلى أن السلوك الذي يتَّخذه الفرد هو السلوك الأصحُّ والأصلح. والسلوك "المتَّبَع "

والسائد هو السلوك الذي يوحى باليقين. بينما السلوك غير السائد سلوكٌ مشكوكٌ فيه، بل قد

يكون محفوفًا بالمخاطر أو التهلكة، كما يقول الغزالي. من هنا نصلُّ إلى غريزة الإنسان

الأساسية والطبيعية الأهم، ألا وهي غريزة المحافظة على البقاء. ومعنى ذلك أن التقليد

و"الاتباع" يرتبطان بتلك الغريزة التي تسيطر على جميع الأحياء. (الأعرجي، ٢٠٠٤)

إنَّ الإنسان العاديَّ يميل إلى التأكُّد من مواضع أقدامه، لذلك فهو يسيِّرُ في الطريق المطروق

الممهَّد، بدل أن يسلكَ الطريقَ غير المعروف، الذي قد تتخلَّله بعضُ العقبات أو حتَّى بعضُ

العثرات، أو قد يقوِّده إلى الهاوية. ومن هنا استنتجنا أنَّ "الاتباع" يرتبطُ بغريزة

المحافظة على البقاء.

وبما أن الاتباع هو المفهوم المخالف للإبداع والاتباع يرتبط بغريزة المحافظة على البقاء فكيف

يكون الإبداع هو الآخر مرتبط بغريزة المحافظة على البقاء؟

يرتبط الإبداع بغريزة المحافظة على البقاء من خلال ارتباطه بغريزة حب الاستطلاع والمعرفة

والفضول وكون الفضول وحب المعرفة دافع غير مباشر للمحافظة على البقاء "فأصلُّ هذا

الدافع لدى الحيوان أحيانًا والإنسان القديم غالبًا هو مُحاولَةٌ اكتشافِ الخطرِ الوشيك لتجنُّبه،

ولدى الإنسان الحديث هو محاولة اكتشاف الحقائق المؤدية إلى تحقيق حياة أفضل. وهكذا فإن

الرفقي البشري الناتج عن المعرفة يُساعد على المحافظة على الذات والنوع. لذلك نلاحظ أن

معدل العمر يزداد باستمرار في البلدان المتقدمة حضارياً بسبب المعارف العلمية والصحية

المثوفرة فيها أكثر مما في البلدان الأخرى حيث ينخفض معدل عمر الإنسان كلما تردى

المجتمع في هاوية الجهل والتخلف، كما إن معدل وفيات الأطفال يقل كلما ارتفع مستوى

المعيشة. " (الأعرجي، ٢٠٠٤)

كما أوضح فرويد أن كلا غريزة الحياة والموت تعملان في النفس البشرية في صورة صراع دائم

ومستمر، وبطبيعة الحال فانه من الممكن لنا تفسير عمليات الإبداع الفني والأدبي والموسيقي في

ضوء هذه القاعدة الهامة التي اكتشفها فرويد.

"اذ أنه مما لا شك فيه أن الإبداع الأدبي والفني والموسيقي وعملية التذوق يمثلون عمليات هامة

للبناء والحياة في مقابل غريزة الموت". (كمال، ٢٠٠٧)

"كما وأن الإبداع ضرورة اجتماعية حيث يرى مصطفى سويف أن الإبداع كذلك لأنه لازم لتطور

حياتنا الاجتماعية ومواجهة متطلباتنا اليومية وبدونه نحكم على أنفسنا بالفناء، وذلك لأن سويف

يرى أن الصيغة الرئيسية التي تقوم عليها حياتنا الاجتماعية بأبعادها المختلفة إنما تضم في

نسيجها عنصرين أساسيين هما البرمجة وأدوات البرمجة التي تتبدى في الأعراف والتقاليد

والعادات عادات الحركة والنطق والتعبير. الخ. " (الرشدي، ٢٠٠٣)

وفي الواقع ان تاريخ تقدم الحضارة وتطورها الى الحد الذي وصلنا اليه اليوم ما هو الا نتيجة

لسيطرة الانسان على الطبيعة وتسخيرها له عن طريق حب الاستطلاع والعلم والمعرفة وبهذا

يكون الإبداع هو جزء أساسي للمحافظة على البقاء.

سادساً: أثر البيئة على الإبداع

بما أن العقل ينتج من تفاعل عنصرين أساسيين هما الوراثة (التكوين الجيني) والبيئة، وبما أن

البيئة تعني كل ما يتلقاه الانسان من مؤثرات خارجية بما فيها تربيته البيتية والمدرسية وعلاقاته

الاجتماعية فما هو مدى تأثير البيئة على الإبداع؟.

يقول الجابري: "بما أن الحياة الاجتماعية ليست واحدة، ولا على نمط واحد، فمن المنتظر أن

تتعدد أنواع القواعد العقلية ولنقل أنواع المنطق بتعدد وتباين أنماط الحياة الاجتماعية. من هنا

كان للشعوب المسمّاة بدائية "منطقها" (أو عقلها) وكان للشعوب "الزراعية" منطقها، وكان

للسعوب التجارية الصناعية منطقها؛ ومن هنا أيضاً، ولنفس السبب، كان لكل مرحلة تاريخية

منطقها". (الجابري) ومن منطلق الجابري فان الإبداع يختلف ويتنوع بتنوع المجتمعات.

ويقول ماكينون Mackinon "إن كل ما يحيط بالفرد من أمور اجتماعية وتأثير العمل والثقافة

يمكن أن تسهل أو تحبط التفكير والعمليات الإبداعية ". اذ أن هناك ثقافات تيسر عمليات

الإبداع، وثقافات تعسر هذه العمليات.

"ويقول أ.د/ سويف "إذا كانت المرونة النفسية شرطاً من الشروط التي لا بد توافرها في المبدع

حتى يستطيع أن يغير وجه نظره الى الأشياء ليراها من زاوية جديدة فثمة شرطاً يناظر ذلك ذفي

المجتمع الذي يؤدي فيه المبدع هذا الشرط وهو المرونة الاجتماعية أي قابلية البناء الاجتماعي

لأن يعيد تشكيل بعض جوانبه.

ويقول أ.د/ ابراهيم عيد "أن العقل قد يعيش في بيئة مخصصة للإبداع فتتجلى قدراته الخلاقة، وقد

يعيش في بيئة معوقة للإبداع فتخبو امكاناته وقدراته ويستسلم للخرافة والأسطورة وأساليب الفكر

اللاعقلاني " (كمال، ٢٠٠٧).

ويشرح روشكا أنه يمكن أن تظهر في سياق نمو الطفل والشباب جملة من عوامل المحيط التي

تنمي وتحرض أو تحبط وتعيق تطور الخصائص الإبداعية للشخصية. كما يمكن أن توجد جملة

من الظروف التي تدفع أو تنمي تطور السلوك الإبداعي للشخصية في إطار كل من الأسرة

والمدرسة مثل عدم الإكراه وإبعاد العوامل التي تقود إلى الصراع وتشجيع الاتصال واختبار

الصعب في الحدود المقبولة.

أثر المدرسة في تكوين الإبداع

وبما أن المدرسة لها دور كبير في تكوين المجتمع والبيئة، فهناك في المدرسة حالات ومواقف

خاصة تقود إلى تطوير روح البحث والتفكير الإنتاجي والمنطلق والمواقف المبدعة وهذه المواقف

يمكن أن تشجع التلاميذ على طرح أسئلة وتحرضهم على النشاط الفعال في إيجاد الأفكار

الحسنة وحثهم على المناقشة والنقد البناء.

"فيتحدث شامبرز عن الأستاذ الميسر الذي يقود النشاط باستمرار إلى إثارة المشكلات ويشجع

الطالب على المناقشة والدراسة والبحث بشكل مستقل وهو الأستاذ الذي يعطي إحياءات أن

ينتظر نتائج جديدة من الطلاب أما الأستاذ الذي يعيق الإبداع فهو الذي لا يشجع الأفكار ومبالغ

في النقد وغير متحمس والذي تنقصه الثقافة وتكون من سماته الفوضوية والتصلب وضيق

الاهتمامات." (الرشيدي، ٢٠٠٣)

لذلك يجب أن يكون التعليم بعيداً عن التلقين يشجع على التجربة والاستكشاف، إذ إن التلقين

يكتّم الإبداع.

وبما أن البيئة المقصود بها المؤثرات الخارجية التي يتعرض لها الفرد من المجتمع إذ أن كل

مجتمع يحمل في طياته قواعد وعادات ومفاهيم مختلفة وهذه المفاهيم والقواعد والعادات عبر عنها

الأعرجي باسم العقل المجتمعي. فما هو تأثير العقل المجتمعي على الإبداع عند الأعرجي؟

"إنَّ العقلَ البشريَّ ما هو إلَّا المحصِّلة النهائية للعوامل الوراثية والعوامل البيئية، فإنَّ العوامل

الأخيرة ما هي في الواقع إلَّا العقل المُجتمعي الذي يُغذي الفرد منذ طفولته بإيديولوجية ومفاهيمه

وقيمه. لذلك ينشأ الفرد خاضعًا لتلك المفاهيم والقيم. ونادرًا ما يتساءل عن صلاحيتها وهويتها

وعقلانيّتها وجذورها. وهنا هنا يدخل دورُ "العقل الفاعل"، حينما يشرع بهذا التساؤل في مقابل

"العقل المنفعل" الذي يخضع للعقل المُجتمعي دون أيِّ اعتراض." (الأعرجي، ٢٠٠٤)

وخضوع الانسان الى تلك المفاهيم والقيم والقواعد المجتمعية سواء كانت جيدة ام سيئة، دون وعي

او إدراك يجعل منه تابعا بعيدا عن الإبداع والعملية الإبداعية. وفي ذلك يقول الأعرجي

إنَّ الضَّغْطَ المُجْتَمَعِيَّ وَالسِّيَاسِيَّ وَالْإِعْلَامِيَّ الَّذِي يَتَعَرَّضُ لَهُ الْوَاشِئُ فِي مُخْتَلَفِ مَرَاكِلِ حَيَاتِهِ، يُؤَدِّي إِلَى قَتْلِ رُوحِ الْإِسْتِقْلَالِ وَالتَّفَتُّحِ وَالْإِبْدَاعِ. أَعْنِي التَّرْبِيَةَ أَوْ التَّعْلِيمَ الْقَائِمَ عَلَى تَشْجِيعِ إِعْمَالِ الْفِكْرِ وَحَفْزِ الْقُدْرَاتِ الْإِبْدَاعِيَّةِ فِي مُخْتَلَفِ الْمَرَاكِلِ، بَدَلًا مِنَ التَّلْقِينِ وَالْحِفْظِ وَالتَّقْلِيدِ.

وَالْمَنَاحُ الْعَامُ فِي الْمَجْتَمَعِ الَّذِي قَدْ يَكُونُ مِنْ سِمَاتِهِ التَّسَامُحُ أَوْ التَّرْتُمُتُ، الدِّيمُوقْرَاطِيَّةُ أَوْ الْإِسْتِبْدَادُ، التَّيْسِيرُ أَوْ الْكُفُّ، الْمُرُونَةُ أَوْ الْجُمُودُ، التَّحْفِيزُ أَوْ التَّنْثِيظُ، الْقَبُولُ أَوْ الرِّفْضُ، التَّعَاوُنُ أَوْ التَّنَافُسُ، الْوَلَاءُ أَوْ الصَّرَاحُ وَهَذِهِ الْخَصَائِصُ كُلُّهَا تَوْثِّرُ بِفَعَالِيَّةٍ فِي الْإِبْدَاعِ حَيْثُ يَرْتَبِطُ الْإِبْدَاعُ مِثْلًا بِالْمَنَاحِ الْمَتَّسَامِحِ وَالْدِّيمُوقْرَاطِيَّةِ وَبِخَصَائِصِ التَّيْسِيرِ وَالْمُرُونَةِ وَالتَّحْفِيزِ وَالْقَبُولِ فَكُلُّ هَذِهِ الْخَصَائِصِ هِيَ مَنْتَجَةُ الْإِبْدَاعِ.

"وَمُكَوِّنَاتُ الْمَنَاحِ الْاجْتِمَاعِيِّ مُتَعَدِّدَةٌ وَكَثِيرَةٌ وَلَهَا خَصَائِصُ مَيَسِّرَةٌ لِلْإِبْدَاعِ أَوْ كَابِحَةٌ لَهُ فَاللُّغَةُ وَهِيَ مِنْ مُكَوِّنَاتِ الْمَنَاحِ الْاجْتِمَاعِيِّ يَرَاهَا يَوْسُفُ زَيْدَانُ هِيَ بَدَايَةُ الْإِبْدَاعِ، فَالْإِبْدَاعُ يَبْدَأُ بِاللُّغَةِ أَيْ اخْتِيَارِ الْأَلْفَاظِ الْأَكْثَرِ عَلَى التَّعْبِيرِ عَلَى الْمَعَانِي وَالْأَشْيَاءِ الْجَدِيدَةِ وَيَنْتَهِي إِلَى إِبْدَاعِ أُسْلُوبٍ جَدِيدٍ فِي التَّعْبِيرِ وَفِي كُلِّتَا الْحَالَتَيْنِ يَكُونُ تَجْدِيدُ اللُّغَةِ أَحَدَ شُرُوطِ الْإِبْدَاعِ." (الرَّشِيدِي، ٢٠٠٣)

ولا تتحصر المتغيرات الاجتماعية المرتبطة بالإبداع في اللغة وأن الإبداع ضرورة اجتماعية وتوجد متغيرات أخرى مثل مصادر الضبط الاجتماعي (العادات والتقاليد، القيم والقوانين، وسائل الاعلام باعتبارها وسائط للاتصال).

فهي متغيرات يمكن أن تكون فاعلة في تنمية وتدريب الإبداع، فمصادر الضبط الاجتماعي المحفزة والمشجعة والمتقبلة لكل جديد غير تلك الكافة والمثبطة للإبداع، ويكفي في هذا الصدد ما يعانيه المبدع في قبول المجتمع لما يستحدثه، فكم من أفكار وإبداعات وئدت بسبب موقف المجتمع فيها.

أما وسائل الإعلام كوسائط الاتصال والهيئات والمنظمات الاجتماعية كتنظيمات هامة في بنية المجتمع فتكون مسئولة عن نقل التراث الاجتماعي وتبسيطه للناشئة والتركيز على أساليب وأنماط سلوكية بعينها تسهم في تنمية الإبداع وإنشاء جو من الثقة.

كما أن الإبداع يبدأ من لحظة التمرد ونفي الثقافة القائمة وهي من أهم مكونات المناخ الاجتماعي القائم فعدم المسايرة وعدم الرضا عما هو قائم هي لحظة البحث عن الجديد والإبداع.

ويمكن تلخيص أثر البيئة على الإبداع في عدة نقاط:

١. للبيئة المحيطة بالإنسان أثر كبير على العملية الإبداعية.
٢. كلما منحت البيئة المحيطة بالإنسان قدر أعلى من الحرية والديمقراطية كلما ازداد ابداعاً
٣. إذا كانت البيئة معوقة للإبداع تخبو إمكانات وقدرات المبدع ويستسلم للخرافة والأسطورة وأساليب الفكر اللاعقلاني.
٤. للمدرسة والتعليم أثر كبير على تكوين مجتمع مبدع، إذا كانت بعيدة عن نظام التلقين وفيها مساحة واسعة للطالب لي تجرب ويستكشف.
٥. أفضل مناخ مناسب للإبداع هو الذي يرتبط بالتسامح والديمقراطية وخصائص التيسير والمرونة والتحفيز والقبول.
٦. وسائل الإعلام التي تنقل التراث الاجتماعي وتبسطه للناشئة وتركز على أنماط سلوكية بعينها تسهم في تنمية الإبداع وإنشاء جو من الثقة.

ومحصلة القول أن المجتمع توجد فيها قوى تيسر الإبداع وأخرى تعوقه وهذه القوى يمكن أن يطلق عليها مفهوم المناخ الإبداعي. وهو ضروري لنمو العملية الإبداعية وهذا يفسر لماذا يرتبط الإبداع بفترات زمانية بعينها وأوضاع ثقافية حضارية دون غيرها.

الفصل الثالث

إبداع العقل العربي

في الفصل السابق تم معرفة مفهوم الإبداع وأقسامه ونظرياته، وتم الحديث عن الإبداع لدى الأطفال وعن العقل الفاعل ومدى ارتباط الإبداع بغريزة المحافظة على البقاء، في هذا الفصل سيتم ربط كل ما سبق بالإبداع لدى المجتمعات العربية.

مقدمة

الإبداع هو عمليات عقلية عالية المستوى تتسم بطريقة جديدة في التفكير تؤدي الى نظريات أصيلة، او ابتكارات تحظى بالقيمة والأهمية أو حلول لمشكلات حياتية، يمتاز بها أشخاص يتصفون بالتفكير الراقي وسعة الخبرة تمكّنهم أن يضيفوا شيئاً جديداً في ميدان تخصصهم يثير المتعة والدهشة ويساعد على ازدهار الحياة وتقدم المجتمع.

لقد انتهت الدول الى ان تقدمها ما عاد يعتمد على القوة العسكرية بل على ما تمتلكه من عقول مبدعة. وكانت بداية هذه الانتباه تعود الى اطلاق الاتحاد السوفيتي السابق سفينة فضائية في خمسينيات القرن الماضي ادهشت العالم وفاجأت أمريكا. كيف أن "دولة العمال والفلاحين "

تسبقها في غزو الفضاء!، ووجدت الخلل في نظامها التربوي فعملت على اصلاحه وبعثت بخبراء

الى العالم الثالث يلتقطون العقول المبدعة ويأتون بها الى امريكا لترعاها وتستثمرها وكانت هذه

العقول أحد اهم اسباب تطورها وتقدمها.

ولقد كان العقل العربي بأوجه ازدهاره وسباقاً نحو الكثير من المعرفة والعلم في فترة الحضارة

العربية الإسلامية وهذا ليس بجديد. لكن ماذا حدث بعد ذلك وكيف انحدر مستوى الإبداع لدى

العرب.

أولاً: المظاهر التي أدت إلى انحطاط وتراجع الأمة العربية.

ومن المظاهر التي أدت إلى انحطاط هذه الأمة المبدعة القوية كما يقول علاء الدين الأعرجي

ترجع إلى مظاهر مادية ومعنوية واقتصادية وتكميلية، ومن المظاهر المادية:

١. الحروب الخارجية والبيئية والأهلية، ومنها حروب الخليج الثلاث وحرب الكويت، وقبلها

الحروب مع إسرائيل فضلاً عن محاولاتها اليوم تهجير الشعب العربي الفلسطيني أو

تركيعة. ومن تلك الحروب، الحرب الأهلية التي قامت في اليمن، ثم في لبنان، والحرب

الأهلية المستمرة في السودان، وثورات الربيع العربي التي ما زلنا نعيش واقعها الى

الآن. والواضحُ تمامًا أنَّ النتائجَ النهائيةَ لتلك الحروب كانت كارثيةً على الأمة ككلِّ،

وبخاصَّة على بعض الأقطار والشعوب المعنيَّة أكثر من غيرها.

٢. عمليَّاتُ التهجير والإبادة الجماعيَّة التي قُتِلَ أو سُرد في خلالها عشراتُ الملايين التي كانت

منذ حرب فلسطين مع إسرائيل إلى اليوم في تهجير السوريين من أراضيهم. "إنَّ استمرارَ هذه

الحروب وارتفاعُ حصائلها من الضحايا وتدميرها البنى التحتيَّة سيؤدِّي، في النهاية، إلى

تآكلِ كيانِ الأمة ". (الأعرجي، ٢٠٠٤)

٣. عمليَّاتُ الهجرة الطوعيَّة والاضطراريَّة التي تعصفُ بملايينٍ أُخرى؛ وهي تحدثُ يوميًّا

وتَطول جميعَ الشرائح السُكَّانيَّة، ابتداءً من الطبقات الكادحة التي تبحثُ عن لقمة العيش إلى

المتقنِّين والعلماء الذين يَنشدون مُناخًا أرحبَ وحياةً أفضلَ.

٤. سيطرةُ الآخر "غيرِ المباشرةِ اقتصاديًّا وثقافيًّا، علميًّا وتكنولوجيًّا، وصولاً إلى جعلِ الشعب

العربيَّ يعتمدُ اعتمادًا مصيريًّا على ذلك الآخر، كما يحدث اليومُ فعلاً، وإلى حدٍّ بعيدٍ، من خلال

العولمة الاقتصادية والثقافيَّة بين طرفين غير متكافئين لا اقتصاديًّا ولا حضاريًّا.

٤. الغزو الثقافي الذي يتجلَّى في حملاتِ وسائلِ الإعلام الموجهة للتأثير على العقول وتوجيهها

نحو ما تريد الدول المسيطرة.

٥. أنظمتُ الحكم المستبدّة والفاسدة التي استمرّت في الحكم منذ حصلتْ معظمُ البلدان العربيّة

على استقلالها، مع أنّ معظمَ البلدان في العالم تحوّلَتْ إلى النظام الديمقراطي الحرّ.

تحرير العقل لتحرير الأرض

ويعتقد معظم العرب أن المعضلة الأساسية التي تواجهها هي الاستعمار الأجنبي الذي كان

مُسيطرًا على جميع البلدان العربيّة تقريبًا وما زال يَنهبُ موارِدَها ويستعبدُ أهلها ويُصَبِّبُ مَلوكها

وَرُعماءها ووزراءها. ولكن يرى الأعرجي غير ذلك حيث يرى الأعرجي إنّ المعضلة التي

تواجهها الأمة العربيّة والبلاد الإسلاميّة، لا تتعلّق بتحرير الأرض بقدر ما ترتبط ارتباطًا مباشرًا

وغير مباشرٍ بـ"تحرير الإنسان العربيّ" بالذات، أو تحرير عقله من القهر الخارجي السياسيّ

والاجتماعيّ.

ثانيًا: تأثير البيئة العربيّة على المجتمع العربيّ.

وقد عرفنا سابقاً العقل في الفصل الثاني، وقد تم توضيح ان العقل يتكوّن من تفاعل عنصرين

أساسيّين هما الوراثة والبيئة. وتم تحليل عنصر البيئة الذي يتكوّن من جميع ما يتلقاه الكائنُ

البشريُّ من انطباعات ومؤثرات خارجيّة، ابتداءً من لحظة ميلاده حتّى مماته؛ وتدخل فيها، كما

أسلفنا، التربية البيئيّة والمدربيّة وعلاقته الاجتماعية إلخ .

ولا شك بأن بيئة الإنسان العربي تختلف عن بيئة الإنسان الصيني، أو الأوروبي.

تمامًا كما تختلف بيئة الفرد الهندي، وهكذا...

وبالتالي فإنّ عقول هذه المجموعات المختلفة من البشر ينبغي أن تكون مختلفة بعض

الاختلاف. وهذا لا يعني أننا نقضي بذلك على المبدأ القائل بتجانس العقل البشري، أي أنه لا

يختلف من حيث أنه عقل بشري، ويتميّز عن عقل الحيوان، بل نعترف بهذا التجانس العام؛

ولكن ما إن ندخل في الخاص حتّى تبدو الفروقات، بل تتجلّى تلك الفروقات بين طباع البشر

أو عقولهم، باختلاف البيئات، والمجتمعات الكبيرة والصغيرة.

يقول الجابري: "بما أنّ الحياة الاجتماعية ليست واحدة، ولا على نمط واحد، فمن المنتظر أن

تتعدّد أنواع القواعد العقلية ولنقل أنواع المنطق بتعدّد وتباين أنماط الحياة الاجتماعية". (الأعرجي،

(٢٠٠٤)

من هنا كان للشعوب المُسمّاة "بدائية" منطقتها أو عقلها وكان للشعوب "الزراعية" منطقتها، وكان

للشعوب التجارية الصناعية منطقتها؛ ومن هنا أيضًا، ولنفس السبب، كان لكل مرحلة تاريخية

منطقتها".

وهكذا يُمكن القول بأنَّ هناك عقلاً عربيًّا مُتميِّزًا، لأنَّ المجتمع العربيَّ مرَّ بأدوار تختلفُ عن أيِّ

مجتمع آخر، تراكمت خلالها الأحداثُ والوقائعُ والقيَم، فأصبحت جزءًا من الثقافة التي تُشكِّلُ

العقلَ العربيَّ.

"يقول جورج طرابيشي: إنَّ العقلَ البشريَّ عندنا هو ثمرة تراكم تاريخيٍّ، ومثله مثلُ 'الرأسمال'،

عند ماركس، فإنَّه لا يمكن فهمه في أطوار تطوُّره اللاحقة بدون أن تتَّخذَ في الاعتبار سِيرورهُ

تراكمه البدائيَّ". (الأعرجي، ٢٠٠٤)

وكما ذكرت سابقاً أن البيئة الأنسب للإبداع، هي البيئة التي توفر الحرية والديمقراطية والتيسير

والمرونة والتحفيز والقبول، وعدم تواجد هذه العناصر يأخذ العقول في اتجاه معاكس بعيداً عن

الإبداع نحو الإلتباع.

ولا يخفى علينا أن الدول العربية تنادي بالحرية لكن لا تطبق دستورها على أرض الواقع،

فالإنسان العربي أسير الأنظمة العربية المضطهدة، التي إذا ما حاول أن يظهر أفكار ثورية نيرة

لتحرير العقول، حتى يتعاون على قمعه ورفضه وإلغائه من قبل السلطة الحاكمة والمجتمع

الأسير لهذه الأنظمة.

ولقد جاء في أزمة التطور الحضاري للوطن العربي، أن العقل العربي سجين سلطات متعددة تتعاون وتتفاعل للتأثير المركب على طريقة تفكيره ثم على سلوكه وتصرفه ونظرته إلى الأمور.

ومنها:

١. العقل العربي سجين للسلطة الحاكمة.

٢. العقل العربي سجين ضرورات وحاجات الجسد اليومية من غذاء ودواء وبحث عن عمل يعيله وأسرته.

٣. العقل العربي سجين قهره الاجتماعي الذي يفرض عليه أن يفكر ويتصرف ويسلك تبعاً لمُستلزمات ومُحددات ومسلمات العقل المجتمعي السائد.

٤. العقل العربي سجين خلافاته الدينية والمذهبية والطائفية.

وقد تم ذكر أن البيئة الأولى لنشوء الإبداع هي الأسرة، وكما ذكر أ.د. قاسم حسين صالح المختص في علم النفس، أن الأسرة هي أساس الإبداع وتحديدًا في أساليب تنشئتها للأطفال، لما لها من علاقة بنمو القدرات الإبداعية. فالدراسات العلمية وجدت علاقة إيجابية بين الأسلوب الديمقراطي الذي يعتمد الوالدان ومستوى التفكير الإبداعي لدى أبنائهم وعلاقة عكسية بين الأسلوب التسلطي الذي يعتمدانه ومستوى التفكير الإبداعي لدى أبنائهم. وأفادت بأن الطفل الذي

يعيش في جو أسري ينعم بالدفء، ويمنحه الوالدان الحرية والاستقلال وطرح الأفكار دونما خوف

من نقد أو سخرية، فأنها تعمل على تنمية عمليات عقلية تؤدي به الى الإبداع وبه يتوافر للطفل

واحد من الشروط الأساسية لأن يكون مبدعا في المستقبل. فيما يشير واقع الحال العربي كما

تشخصه الدراسات النفسية والاجتماعية، الى ان اساليب التنشئة الاسرية تقوم على العقاب

الجسدي بالضرب والسجن والترهيب والتهديد والقمع النفسي بالازدراء والاحتقار والسخرية والتهكم

وان غالبية الأسر العربية تفنقر الى اساليب التنشئة التي تساعد على نشوء ونمو الإبداع.

وفيما يخص المدرسة والمناهج يقول الدكتور قاسم حسين صالح بوصفها المصدر الثاني لنشوء

الإبداع وتنميته فان الصفة الغالبة عليها هي افتقارها الكثير من مقومات الإبداع سواء في

مناهجها أو طرائق تدريسها أو أنظمتها العامة وأنها لا تعمل على تحريض النشاط الإبداعي لدى

الطالب، وان المعلم فيها ناقل معلومات ويخشى التحديات. بل ان التعليم في الأنظمة التربوية

العربية من الابتدائية الى الجامعة يقوم على التلقين وحشو الذاكرة الذي ينتج بالضرورة عقلا يأخذ

بالأمور كما لو كانت مسلّمات دون أن يتحاور معها بفكر ناقد. وبهذا صاغ النظام التربوي

العربي عقولا عودها على أن(تستقبل) لا على أن (تحاور)..فضلا عن اننا لا نعلم الى تحديث

مناهجنا بالسرعة التي يتطور بها العلم التي يفصلنا عن التقدم في عدد من العلوم أكثر من ربع

قرن!.

وإذا كانت الأسرة والمدرسة غير حاضنتين للأبداع فأن المجتمعات العربية فيها من معوقات

الإبداع ما يميته او ينفيه، من بينها:

- الفهم الخاطئ للدين والميل للاتباع ومقاومة الابتداع.
- القيود المفروضة على حرية التعبير.
- إهمال المواهب الفردية وجعل الفرد في خدمة المجتمع.
- والجمود الفكري وقراءة السلف من دون تطوير أو إبداع.

وكما يقول حسين صالح أن العالم العربي ينفرد بأربع كوارث تحول تقدمه وهي:

١- ان ما ينفق على التعليم ضئيل جدا بالقياس لما ينفق في شراء الأسلحة. فبحسب المركز

الروسي لمبيعات الأسلحة بلغت مبيعات الأسلحة الأمريكية الى دول الخليج العربي فقط ١٢٣

مليار دولار فيما لم ينفق ربع هذا المبلغ على التعليم. وما تتفقه اسرائيل على البحث العلمي

اضعاف ما تتفقه الدول العربية مجتمعة.

٢- ان السياسة دفعت الدول العربية الى ان يكيد بعضها ضد البعض الآخر، واشغلتها بخلافاتها

العقائدية، وصراعات الأخوة الأعداء على السلطة والثروة وسلوكياتها اللاأخلاقية التي حولت

الفساد من خزي الى شطارة. وأنموذجه العراق.

٣- ان رياح التغيير التي هبت على العرب في يناير وفبراير ٢٠١١ كان يتوقع لها ان تفتح

الباب واسعا لإبداع عربي وديمقراطية وسلام. والنتيجة سارت الرياح بالاتجاه المعاكس. ولهذا

كانت البيئة العربية طاردة للأبداع من ألف سنة. ولن تكون حاضنة للأبداع الا بتطبيق

الديمقراطية عمليا وتحقيق العدالة الاجتماعية.

٤- ان العقل السياسي العربي مصاب باحولال. فمع ان دول العالم أدركت منذ ان اطلق الاتحاد

السوفياتي سبوتنك في الخمسينيات ان الإبداع هو القوة الحقيقية لتطور المجتمع، واولها امريكا

التي قامت في الستينيات بثورة في اهداف وطرائق التربية. وصار الاهتمام بالإبداع والمبدعين من

أولوياتها، فان العقل السياسي العربي لم يدرك ذلك لأنه أحول. ولو أنه قرأ التاريخ في مجالات

السياسة والاقتصاد والنظم الاجتماعية والعلوم التطبيقية والفنون، لوجد أن المبدعين هم الذين

يغيرون العالم ومسار التاريخ أيضا.

"ان هذه الأدلة تشير الى ان البيئات العربية ما تزال طاردة للأبداع والمبدعين حتى تلك التي

صارى اسمى انظمة ديمقراطية، بل ان مكانة المبدعين تراجعى فى بعضها مقارنة بما كانت

عليه فى الأنظمة الدكتاتورية، لأن الذين اسلموا الحكم اعتمدوا مبدأ الثقة والأقارب فى اسناد

المسؤوليات الكبرى وتجاهلوا الكفاءة والخبرة." (صالح، ٢٠١٣)

ومما يجب ذكره أن المجتمعات العربية بدأت فى الآونة الأخيرة تعي مدى أهمية الإبداع، اذ تم

عمل مؤتمرات، وتبنى مقترحات من أجل توجيه العملية التعليمية نحو الإبداع، وتم إيجاد مراكز

ومؤسسات مستقلة تتبنى المبدعين وتهتم بهم.

الفصل الرابع

ملخص البحث والتوصيات المقترحة

مقدمة: يتناول هذا الفصل ملخص البحث (نتائجه) والتوصيات المقترحة بناءً على الفصلين

الثاني والثالث.

نتائج البحث:

١. تمتاز مرحلة الطفولة لدى الإنسان بأنها أصل العملية الإبداعية، فالإبداع يبدأ من

الطفولة.

٢. يرتبط الإبداع ارتباطاً وثيقاً بغريزة المحافظة على البقاء، إذ أن غريزة البحث والاستكشاف

والاستطلاع المرتبطة بالإبداع هي الأساس الذي قامت عليه الحضارة البشرية.

٣. للإبداع بيئة مناسبة تمتاز بالديمقراطية والحرية والتيسير والمرونة.

٤. الأسرة والنظام التعليمي هما البيئة الأولى لنشوء الإبداع.

٥. تمتاز البيئة العربية حالياً بأنها بيئة معيقة للعملية الإبداعية.

التوصيات:

١. زيادة وعي الأسر نحو التربية القائمة على الديمقراطية ومنح الأطفال قدراً من الحرية بعيداً عن التسلط في التربية، بالإضافة الى توجيه الأسر نحو تمييز الأطفال المبدعين والاهتمام بهم وتوجيههم.
٢. توجيه النظام التعليمي نحو التجربة والاستكشاف والتوجيه بعيداً عن التلقين في الدراسة.
٣. إدراك أن تقدم وتطور الأمة العربية لن يحصل إلا بالإبداع الذي لن يحصل إلا بخلق البيئة المناسبة له.
٤. التركيز على المواهب الفردية وجعل الفرد في خدمة المجتمع.
٥. محاولة استقطاب العقول العربية المهاجرة وتوفير البيئة المناسبة لها.
٦. توجيه أنظمة التعليم العربي نحو البحث العلمي وتوفير مراكز للأبحاث.

المصادر و المراجع:

- المعجم الوسيط. (٢٠٠٣). مكتبة الشروق الدولية.
- أندرية لالاند. (١٩٧٩). *العقل والمعايير*. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- طارق كمال. (٢٠٠٧). *سيكولوجية الموهبة والإبداع*. الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
- علاء الدين الأعرجي. (٢٠٠٤). *أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي*. بيروت.
- قاسم حسين صالح. (٢٠١٣). *محنة الإبداع والمبدعين في العالم العربي*.
- محمد عابد الجابري. *نقد العقل العربي، تكوين العقل العربي*.
- هارون توفيق الرشيد. (٢٠٠٣). *سيكولوجية الإبداع والمواهب الخاصة*. دار ومكتبة الاسراء.
- هشام شرابي. (١٩٨٤). *مقدمات لدراسة المجتمع العربي*. الدار المتحدة للنشر.

تجدون بهذا الرابط مجموعة كبيرة من [الأعمال الفنية لطلبة كلية الفنون الجميلة](#) - قسم الفنون

التطبيقية ب [جامعة النجاح الوطنية](#) - فلسطين